مجلة المعيار ISSN: 2588-2384
مجلد: 22 عدد: 44 السنة: 2018

الوظيفة الدعوية الإعلامية للاتصال في ضوء القرآن الكريم

أ.د.البشير قلاتي
أ.سميرة هواري
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
om_charaf@yahoo.fr

تاريخ الوصول: ...../ القبول:..... / النشر على الخط: .....
Received: ..... / Accepted: ..... / Published online: .....

الملخص:
يحاول المقال الكشف عن وظيفة مهمة من وظائف الاتصال المعاصر وهي الوظيفة الدعوية الإعلامية في ضوء القرآن الكريم، وذلك بالتركيز على أهمية الدعوة والإعلام كوجه للاتصال في بيان أهمية الإسلام ورسالته الخاتمة للبشرية جمعاء، وكذا التنويه بأهم الأهداف التي تبتغيها الدعوة والإعلام لتوجيه الناس كافة للعودة إلى سبيل الرشاد وإنقاذهم من التيه الذي جنته عليهم المادية المجرّدة.
الكلمات المفتاحية:القرآن الكريم؛ الاتصال؛ الدعوة؛ الإعلام؛ الوظيفة الدعوية الإعلامية.

Résumé
L'article essaye de révéler une fonction importante des fonctions de la communication contemporaine, à savoir la fonction de la vocation et de l'information à la lumière du Saint Coran, afin de mettre l'accent sur l'importance du la vocation et de l'information en tant que facette de la communication pour mettre en évidence l'importance de l'Islam et son message final à toute l'humanité. Ainsi que de mentionner les objectifs les plus importants souhaités par la vocation et l'information pour guider tous les gens à revenir à la voie de la rationalisation et de les sauver de la de la tyrannie du matériel abstrait.

Mots clés :
Saint Coran ; la communication ; la vocation ; l'information, la fonction de la vocation et de l'information.

مقدمة

إنّ حاجة الفرد لا تنحصر فقط في أن يتكلّم من أجل التعبير عن ذاته ووجوده، بل يتعدّى الأمر إلى كونه يحتاج إلى الآخرين ليعرف مدى فهمهم لما يقول ومدى استجابتهم له، بالإضافة إلى الاستفادة ممّا لديهم من خبرات وآراء وأفكار، إذن هو بحاجة للتفاعل والتفاهم المشترك وهذا ما يحققه بالاتصال بهم والتعامل المستمر معهم، لذلك يعتبر الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني لأنه يحقّق للإنسان حاجته إلى الاجتماع والتماشي مع طبيعته وفطرته التي تجعل منه كائنا اجتماعيا بطبعه.

إنّ هذه الضرورة الاجتماعية والنّفسية للاتصال جعلته محطّ اهتمام للمعرفة الإنسانية منذ زمن بعيد، ولا زال الأمر قائما إلى يومنا هذا، حيث نجد أنّ التطوّر العلمي والتكنولوجي الحادث في حقل المعرفة الإنسانية جعل المجالات الدراسية التي تتناول علم الاتصال تتعدّد وتختلف سواءً في مجال الدّراسات الأكاديمية أو النشاط التطبيقي له، أو بكونه علمًا أو فنًّا أو وسائل اتصال جماهيري، وحتى في تحديد تسميته فهناك من يسمّه "الاتصال" بينما يفضّل البعض الآخر استخدام لفظ "التواصل"-خاصة في تراثنا وفكرنا الإسلامي- لأنّ فيه دلالة أكثر على صفة التّفاعليّة والاشتراك المتبادل بين طرفي عمليّة الاتصال في تحقيق التّبادل المعرفي، والآراء والاتجاهات والقناعات، وهذا ما يتوافق مع المفهوم المعاصر لعملية الاتصال.

ولعلّ تعدّد المجالات الدراسية للاتصال جعلت مفاهيمه تتعدّد وتختلف كما تتباين على أساس المنطلقات الفكرية الثقافية وحتى المرجعيات الإيديولوجية التي تتغذّى منها هذه المجالات، ولا جرم أنّ ذلك ما ينتج لنا في النهاية أهدافاً ووظائف متمايزة ومتنوّعة تسعى كلّ واحدة إلى تحقيق رغبات وحاجات الفرد والمجتمع من جهة، وتحدّد أهمّية هذه الوظائف أو تلك من جهة أخرى.

إذا أردنا أن نركّز اهتمامنا على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي نجد أنّ القرآن الكريم يعتبر المرجعية الأبدية الكاملة الشاملة لكلّ علم أو معرفة، فهو الذي يحدّد المناهج والمعالم الكبرى والأساسيات التي تبنى عليه، فالقرآن الكريم هو منهج المسلم في الحياة أراد الله تعالى أن يجعل منه أساسًا لإحداث التواصل بين المسلم وأخيه وبينه وبين الآخر.

من هذا المنطلق فإنّنا سنحاول تسليط الضّوء في بحثنا هذا على إحدى وظائف الاتصال التي عنى بها القرآن الكريم واهتم بها العلماء المسلمون قديماً وحديثاً لارتباطها الوثيق بالغاية الجوهرية لبعثة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وهي هداية الناس إلى عبادة الله وخلافته في الأرض. وهذه الوظيفة تتمثّل في وظيفة"الدعوة والإعلام" دون الأخذ بعين الاعتبار الخلاف القائم حول علاقة الدعوة الإسلامية بالإعلام الإسلامي- من حيث العموم والخصوص- ما دام كلّ واحدٍ منهما تؤدّي إلى تحقيق نفس الأهداف، فالدعوة عمل إعلامي والإعلام عمل دعوي يعضد الواحد منهما الآخر.

ممّا سبق ستتمحور إشكالية البحث في بيان أهمية الوظيفة "الدعوية الإعلامية" للاتصال في ضوء الرّؤية القرآنية، وذلك من خلال بيان مفهوم الاتصال وأهميته في القرآن الكريم كتمهيد للموضوع ثم التركيز بعدها على أهمية"الدعوة والإعلام" من خلال دعوة القرآن الكريم إلى التبليغ وجعله الإسلام خاتم للرّسالات السماوية ممّا أعطى للرّسالة الإسلامية خاصية"العالمية والشمولية" والتي من شأنها أن تجعل هذه الدعوة تنحو منهج الإقناع في عرض موضوعها وتحقيق أهدافها.

يندرج البحث تحت التساؤل الرئيس التالي:

أين تتجلّى أهمية الوظيفة "الدعوية الإعلامية" للاتصال في ضوء القرآن الكريم؟

ويندرج تحته الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مفهوم وأهمية الاتصال في ضوء القرآن الكريم؟
- كيف ولماذا اهتم القرآن الكريم بالوظيفة الدعوية الإعلامية؟
- ما هي أهم أهداف الوظيفة الدعوية الإعلامية في ضوء القرآن الكريم؟

أما المنهج المتبع فهو المنهج الاستقرائي التحليلي بتتبّع الموضوع من حيث وروده في القرآن الكريم ثم الوصول من خلال المقدّمات إلى النتائج العامة.

1- مفهوم وأهمية الاتصال في ضوء القرآن الكريم:

1-1- مفهوم الاتصال في ضوء القرآن الكريم:

أ- تعريف الاتصال لغة:

إذا تتبّعنا مفهوم الاتصال من خلال الجذر المعجمي لكلمة "اتصال" اتضح لنا أنّ الكلمة جاءت من الفعل "وصل"، ففي المعجم الوسيط "وصل" بمعنى: ضمّ الشيء بالشيء، وكذلك أنهى الشيء إلى الآخر وأبلغه إيّاه[1]. أما في لسان العرب "وصل" بمعنى: وصلت الشيء وصلاً وصلة، والوصل ضدّ الهجران، الوصل خلاف الفصل واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع، ووصل الشيء إلى الشيء وصولاً وتوصّل إليه:انتهى إليه وبلغه[2].

من المعنى المعجمي للكلمة يبدو أنّ في الاتصال معنى البلوغ والانتهاء وفيه خاصية التفاعل والالتقاء بين أكثر من طرف، فهو بهذا المعنى اللغوي يعني:الصلة والعلاقة وبلوغ غاية معيّنة من تلك الصلة، وهنا يبيّن لنا الاشتقاق اللغوي كم هي معبّرة اللغة العربية عن المعنى الحقيقي للاتصال وظيفيًا وإنسانيًا.

وهذا المعنى "الضمّ" و"البلوغ" و"الوصل" الذي هو ضدّ الانقطاع والهجران ورد في آيات متعدّدة منها قوله تعالى:" وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ"(الرعد/21)، يقول ابن عاشور: والوصل :ضمّ شيءٍ لشيء، وضدّه القطع، وفيها الثناء على المؤمنين بأنهم يصلون الأرحام ولم يقطعوا أرحام قومهم[3].

---

[1] الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط- مادة وصل- باب الواو، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص1037.

2 ابن منظور، لسان العرب، المجلد 6، باب الواو، ج54، القاهرة، دار المعارف، ص4550

3 محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير من التفسير، ج13، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ص127

أما في الثقافة الغربية فنجد أنّ أصل كلمة "اتصال" «Communication» يعود إلى الكلمة اللاتينية «Communis» التي تعني في اللغة الإنجليزية «Common» أي "مشترك" أو "عام"، وبالتالي فإنّ الاتصال كعملية يتضمّن المشاركة أو التفاهم حو شيء أو فكرة أو إحساس أة اتجاه أو سلوك أو فعل ما[1].

مما سبق نستنتج أنّ معنى الاتصال في اللغة يندرج فيما يلي:

- الضم والانتهاء والبلوغ في الثقافة العربية؛
- الاشتراك أو المشاركة في الثقافة الغربية.

ب–تعريف الاتصال اصطلاحاً:

من الناحية الاصطلاحية نجد أنّ كلمة الاتصال تشير إلى معانٍ متعدّدة ومختلفة عند العلماء، فالبعض يعتبرها نشاطاً ويرى آخرون أنها مجال دراسة بينما يعتقد البعض أنها فنّ، وهي قد تكون نشاطاً عفوياً لا شعورياً أو عملاً مخططاً هادفاً، وسنورد هنا بعض التعاريف الخاصة بالاتصال:

الاتصال بالنسبة لجورج لندبرج " هو نوع من التفاعل يحدث بواسطة الرموز التي قد تكون حركات أو صور أو لغة أو أيّ شيء آخر يعمل كمنبّه للسلوك..." ، أما الباحث كارل هوفلاند فيرى أنّ الاتصال "هو العملية التي ينقل عمداً بمقتضاها المرسل منبّهات لكي يعدّل سلوك المستقبلين"[2].

كما عرّف الاتصال بأنه "العملية التي تنتقل بها الرسالة من مصدر معيّن واحد أو أكثر بهدف تغيير السلوك"[3]. كما تم تعريفه بأنه"سلوك أفضل السّبل والوسائل لنقل المعلومات والمعاني والأحاسيس والآراء إلى أشخاص آخرين والتأثير في أفكارهم وتوجّهاتهم وإقناعهم بما تريد، سواءً كان ذلك بطريقة لغوية أو غير لغوية"[4]. وفي تعريف آخر هو"عملية تفاعلية تبادلية ينقل من خلالها المرسل المعلومات أو الأحاسيس إلى المستقبل، باستخدام وسيلة مناسبة بهدف التأثير لتحقيق التكامل بين الأفراد "[5].

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أنّ الاتصال هو تواصل تفاعلي بين طرفين(مرسل– مستقبل) يكون بوسيلة مناسبة بطريقة لغوية أو غير لغوية، ويكون له هدف معين، لذلك نجد أنّ البعض يفضّلون استخدام مصطلح "التواصل" بدل الاتصال للدّلالة على هذا البعد التفاعلي الذي يمتاز به الاتصال المعاصر خاصة الاتصال الجماهيري. ولعلّ هذا المفهوم التفاعلي بين أطراف العملية الاتصالية من تأثير وتأثّرٍ هو الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:" وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا "(الفرقان/20)، يرى ابن عاشور أنّ ضمير الخطاب في قوله تعالى"بَعْضَكُمْ " يعمّ جميع الناس بقرينة السياق وكلا البعضين مبهم يبيّنه المقام، وحالُ الفتنة في كلا البعضين مختلف، فبعضها فتنة في العقيدة وبعضها فتنة في الأمن وبعضها فتنة في الأبدان[6].

تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح "الاتصال" يتداخل في كثير من الاستعمالات مع مصطلح "الإعلام"، ولكن يمكن أن نبيّن العلاقة بينهما بحيث أنّ هذين المصطلحين قد يتقاطعان في الاستعمال ولكنهما يختلفان في كون الإعلام يعني أساساً المعطيات والأخبار والمعرفة، أما الاتصال فيستلزم الحوار ووجود علاقات.

كما أنّ مفهوم الإعلام يعبّر عادة عن شيء ثابت(محتوى، حالة، وضعية)، أما الاتصال فهو غالباً عبارة عن عملية(علاقة) إنه يفعّل الإعلام بجعله أمراً عملياً، بل قد يوصف الإعلام بأنه يشكّل إحدى وظائف الاتصال الأساسية الثلاث: الإعلام– التعليم– الترفيه، ومن ثم قد يوجد إعلام دون علاقة اتصالية ولكن لا يمكن أن يكون هناك اتصال دون إعلام[7].

---

1 حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط6، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2006، ص23

2 فوضيل دليو، الاتصال: مفاهيمه– نظرياته– وسائله، ط1، القاهرة، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ص16.

3 طه أحمد الزيدي، معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي – عربي إنجليزي– ط1، بغداد، العراق، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010، ص12

4 عوض القرني، حتى لا تكون كلاًّ...طريقك إلى التفوق والنجاح، ط8، جدة، دار الأندلس الخضراء، 2001، ص117

5 فهد محمد الشعابي الحارثي، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم–دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات– منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2014، ص53

6 محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سبق ذكره، ج18، ص344

7 فوضيل دليو، مرجع سبق ذكره، ص18

على العموم يمكننا أن نقول أنّ مجال الاشتراك بين المفهومين يقع عند تقاطع المعنى الواسع للإعلام مع الاتصال كوضع أو فعل لازم، ويبقى الشائع والغالب أنّ الاتصال أعمّ وأشمل من الإعلام[1].

1-2- أهمية الاتصال في ضوء القرآن الكريم:

يعدّ الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني وتلعب أنواع الاتصال المختلفة دوراً كبيراً في حياة كلّ شخص مهما كانت الوظيفة التي يشغلها أو وقت الفراغ المتاح أمامه، فالاتصال يؤثّر في كلّ فرد بشكل أو بآخر، ويمكن لنا إبراز أهمية الاتصال في النقاط الآتية[2]:

- يعتبر الاتصال للفرد طبيعة وضرورة، والفرد يدخل في العلاقات الاتصالية لأنّه يرغب في بناء العلاقة مع بيئته وبصفة خاصة البيئة الإنسانية المحيطة به؛
- الاتصال هو طريق بناء العلاقات، فكل يوم نعتمد على قدرتنا في الحديث والاستماع والكتابة والقراءة وملاحظة الرموز والإشارات، وبدون هذه القدرات نفقد كثيراً من إنسانيتنا؛
- الاتصال يحقق التكامل الاجتماعي، حيث لا يمكن لأيّ فرد القيام بدوره في المجتمع إلاّ عن طريق الاتصال؛
- الاتصال يحقق للفرد الإحساس بالأمن والطمأنينة الناتجة عن التماسك الاجتماعي؛
- الاتصال يحقق المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع كما يساهم في التماسك الاجتماعي.

أما إذا أردنا الحديث عن أهمية الاتصال في ضوء القرآن الكريم فإنه يمكن فهمها من خلال السياق في آيات كثيرة تشير إلى مختلف العناصر المتعلّقة بالعملية الاتصالية مثل أطراف الاتصال (أركان العملية الاتصالية)، مقوماتها ومعوّقاتها، وكذا مهارات الاتصال ووظائفه دون إغفال أشكاله وأنواعه*.

ولعلّ أبرز ما ذهب إليه الكثيرون ممّن تحدثوا عن أهمية الاتصال في القرآن الكريم هو أنّ هذه الأهمية واضحة في حضور الآيات الحوارية في القرآن الكريم حضوراً مكثّفاً لنقل الوقائع وبيان سبل نجاح العملية الاتصالية، واتّضاح أطراف التواصل وعناصره، كما تتمظهر أيضا من خلالها عوائق الاتصال المختلفة، أضف إلى ذلك أنّ الخطاب القرآني –جلّ من أنزله– احتوى أساليب متنوّعة بحسب المقام والسياق، كما جمع أنواعا متعدّدة من الخطابات: إقناعية، حوارية، قصصية، ساخرة...إلخ، تجعل من القرآن الكريم منظومة تواصلية فعّالة في تبليغها وشاملة لكلّ ما تقوم به حياة المرسل إليه على أكمل وجه رآه المرسل–الله عز وجلّ–[3].

كما يمكن أن نبرز أهمية الاتصال أو التواصل في ضوء القرآن الكريم في النقاط التالية:

✓ الاتصال في القرآن الكريم مقوّم أساسي لحياة الإنسان، تقتضيه فطرة الإنسان وطبيعته الاجتماعية والإستخلافية في الأرض، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:" وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "(النحل/78)، فالآية الكريمة تشير إلى إحدى أهم حواس التواصل والإدراك وهي السمع والبصر والفؤاد، فالسمع والبصر أعظم آلات الإدراك والفؤاد هو محلّ الإدراك كلّه[4]. فالإنسان من خلال هذه الآلات الإدراكية يتمكّن من تحقيق الاحتكاك والتواصل مع البيئة المحيطة به وفهمها والتقارب مع بني جنسه.

✓ الاتصال في القرآن الكريم هو سبيل يمكّن الإنسان من تبادل الآراء والأفكار، وكذا اكتساب الخبرة في الحياة وزيادة العلم ويدلّ على ذلك قصّة سيّدنا موسى عليه السلام مع الخضر، قال تعالى:" فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. قَالَ

---

[1] المرجع نفسه، ص20

[2] محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، القاهرة، مصر، عالم الكتب، 2004، ص26-28

* لمزيد من التوسع حول هذه العناصر أنظر:

– فهد محمد الشعابي الحارثي، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم–دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات– منتدى المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2014.

– غمشي بن عمر، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني– قصص الأنبياء في القرآن الكريم نموذجا– أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، الجزائر، 2011/2010 .

[3] لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني– قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، ط1، القاهرة، مصر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2014، ص240.

[4] محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سبق ذكره، ج14، ص،ص232- 233

لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا " (الكهف/65،66)،. فهنا موسى عليه السلام رغم كونه نبيّاً طلب استزادة العلم من هذا الرجل الصالح.

✓ الاتصال في القرآن الكريم له أهمية عظيمة في التربية والتزكية، والحفاظ على القيم والمبادئ الفاضلة ونقلها من مجتمع إلى آخر، وأدلّة ذلك من القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى:" كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ "(البقرة/151)، والتزكية هي أقرب الكلمات وأدلّها على معنى التربية، بل تكاد التربية والتزكية تترادفان في اصطلاح النفس وتهذيب الطباع وشدّ الإنسان إلى أعلى كلمات حاولت المثبّطات والهواجس أن تسفّ به أو تعوّج[1].

✓ الاتصال في القرآن الكريم سبيل إلى التبادل المعرفي والحضاري وتعزيز أواصر التواصل البشري على أساس التآلف والتوافق، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (الحجرات/13). تشير الآية الكريمة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى وحّد معيار التفاضل بين البشر والذي يتمثّل في مبدأ التقوى، فكرامة الإنسان وكمالها تتحدّد بمدى قرب الإنسان من ربّه أو بعده عنه، وليس لجنسه أو لعرقه أو للونه، فالعمل الصالح أساس التفاضل بين الناس، وهذا ما من شأنه أن يسهّل عملية التواصل ويقوّيها ويحدّ من عوامل الفرقة وسلبيات الإختلاف.

2- أهمية الوظيفة الدعوية الإعلامية في ضوء القرآن الكريم:

تهتم عملية الاتصال في القرآن الكريم بأمر الدعوة إلى الله تعالى، وتحرص على أن يبلّغ المرسل ما أرسل به تاماً واضحاً، سواءً أكان المرسل رسولاً نبيّاً أم كان داعية من عامة الناس.

ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ تأكيد القرآن الكريم على أهمية الدعوة والإعلام نشأ مع النشأة الأولى للبشرية، يوم أن خلق الله تعالى آدم –عليه السلام– وكان أوّل ما كلّف به الإعلام والإخبار في قوله تعالى:" قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ "(البقرة/33)، وقد تجدّدت هذه الدعوة للإعلام والإبلاغ مع كلّ نبيٍّ ورسول، قال تعالى: " أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ "(الأعراف/62).

وما يثير الاهتمام أنّ مفردتا"النبأ" و"الخبر" وردتا في القصص القرآني في مواضع متعدّدة ممّا يدل على تجلّي الإعلام، وخاصة إذا علمنا أنّ مفردة "النبأ" تدلّ على "الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل بها علم أو غلبة ظن ويكون صادقاً"، وهذا ما يشير إلى بعض أهم الشروط الواجب مراعاتها في الخبر الإعلامي، ومثاله قوله تعالى: " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ "(النمل/22).

أما إذا أردنا الحديث عن أركان العملية الدعوية الإعلامية فنجد أنّ القرآن الكريم تحدّث بإسهاب عنها ورسم ملامح متعدّدة لعملية اتصالية تتكوّن من: "مرسل، مستقبل، رسالة، وسيلة، تأثير" فهو لم يغفل بأيّ وجه أيّاً من هذه المكوّنات.

فعن القائم بالاتصال، يقول تعالى:" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا "(النساء/165)؛ وبعد الرسل يأتي الدعاة، قال عزّ وجلّ:" إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " (الرعد/7) ، ففي قوله تعالى:" وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " أي لكلّ قوم داعٍ يدعوهم إلى الله تعالى[2].

أما المتلقّي فقد خصّه القرآن الكريم بعناية كبيرة وأكبر ما يدل على ذلك كثرة مخاطباته المتوجّهة إلى أصناف المخاطبين فعليين أو محتملين[3]. وهذا التنوّع في الجمهور المخاطب جعل بدوره أساليب القرآن الكريم الإعلامية والدعوية متغيّرة ومتجدّدة على حسب ما يقتضيه تنوّع هذا الجمهور وكذا ما تقتضيه الضرورة والواقع الزمكاني، فكانت بذلك تتنوّع ما بين: قصة، وحوار وجدل، واستفهام وتكرار، وتشويق، وترغيب وترهيب...، وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى:" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "(النحل/125)، وهذه الآية في مجملها وفي تفصيلها تعبّر عن أمّهات الأساليب الأساسية في الدعوة كما يسمّيها "البيانوني"[4].

---

[1] محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، دط، القاهرة، دار الشروق، 1998، ص164

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، د ط، القاهرة، دار ابن الهيثم، دت، ص1524

[3] هذه الأهمية جعلت الكثير من علماء المسلمين الذين ألّفوا في علوم القرآن يجعلون خطابات القرآن الكريم باب من أبواب علومه مثل ما فعل الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان وغيرهم.

[4] أنظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ط3، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1995، ص243

أما إذا تحدثنا عن مضمون الرسالة الدعوية الإعلامية فيمكن القول أنّ الدعوة هي عمل صفوة الخلق سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ومن تبعه على هدًى وبصيرة، قال تعالى:" قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "(يوسف/108)، فهذه الدعوة هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك الإنساني التي جاء بها محمد صلّى الله عليه وسلّم من ربّه وأمر بتبليغها إلى الناس وما يترتّب عن ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة[1].

إنّ هذا المعنى للدعوة يجعلها شاملة للدّين كلّه، وبذلك يكون حديث القرآن الكريم–جلّ من أنزله– عن أهمية الدعوة والإعلام هو تأكيد على هذه الشمولية وعلى وجوب التبليغ ودعوة الناس وإعلامهم بأنّ هذا الدين هو الدين الخاتم، إنّه توجيه إلى قضية من أهمّ القضايا التي جاءت الرسالة الخاتمة لإعلانها وتقريرها للعالم أجمع إنّها"عالمية الرسالة الإسلامية".

إنّ بعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم كانت نقلة جديدة بالعالم كلّه وتحوّلاً في حركة الوحي الإلهي على ظهر الأرض، إذ جاءت الرسالة الأخيرة إلى كلّ بشر يعقل ويسمع، ثم هي قد صحبت الزمان في مسيرته فإذا انتهى جيل من الناس فإنّ الجيل الذي يليه مخاطب بها مكلّف أن يمشي في سننها، قال تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "(سبإ/28)، ومن هنا أتت الدعوة الإلهية على منهج البشر شاملة للجميع، واضعة أسس الحياة على مفاهيم لا تختلف من مكان إلى آخر تعتمد الفكرة القائمة على المبادئ والغايات فقط، بلا ارتباط بزمان أو مكان أو سلالة أو قوم[2].

إنّ أهمية الإعلام بالدعوة أو البلاغ والتبليغ تأتي من كونها في مصلحة الناس وسعادتهم من جهة، وفي أنّ المبادئ والقيم إن لم تأخذ فرصتها للنشر والإذاعة لا تعدو أن تكون آثاراً محنّطة وأفكاراً مهملة لا ينتفع الناس بها من جهة أخرى، وما أهمية الدين إن لم يبلّغ للناس وينشر وتعرض حقائقه؟ إنّه حينها يغدو أسفاراً من مجلّدات يطويها الزمن ويليها النسيان. إنّ الحاجة إلى وحي الله وقيادة المرسلين لا تنقطع أبداً ومن ثمّ فنحن نرى في هذا الإسلام الجامع الكفاية المشبعة للأزمات الروحية والفكرية التي يعانيها الناس ويتطلّعون إلى مخرج. ماذا جنى العالم من جحده للألوهية أو جهله بحقيقتها وحقوقها؟ شقاء يرجم العالم بالدماء في أيام الحروب، ويرجمه بالقلق في أيام السلام، فهو بين الحروب الباردة والساخنة محطوم الأعصاب فارغ الفؤاد. إنّ هذا العصر الذي نعيش فيه هو أشدّ العصور فقراً إلى الاتصال بالسماء والانعطاف إلى الدين والتوقير لكلمات الله، ذلك أن الرّقيّ العقلي المحض الذي بلغته الإنسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية إن لم يقترن هذا الرّقيّ باكتمال روحي معتمد على الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم[3].

إنّ هذه الحقائق المذهلة تجعل المسؤولية الملقاة على عاتق الدعاة والإعلاميين عظيمة لأنّ الرهان الإعلامي هو الصورة الأحدث التي تطوّر إليها الاستعمار الحديث الذي انتهز الصّمت الذي خيّم على أجهزة الدعاية الإسلامية ليجهز على هذه الدعوة ويلوّث سمعتنا ويغرس تديّنا مختلّ الأصول مضطرب السلوك والسبيل إلى الخلاص هو تصحيح هذا الخلل بتقديم الإسلام بكلّ تعاليمه الشاملة الكاملة، عن طريق أجهزة الإعلام الإسلامي، فلا يخفى منها شيء بحيث يكون الداعي والمدعو سواء في الإحاطة بمحتويات هذا الدين دقيقها وجليّها، قال تعالى:" فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ "(الشورى/15).

إنّ الحوار الزّكيّ في قصّة شائقة أو تصوير الواقع في هذه القصة بل الصورة الساخرة والنكتة البارعة، إنّ هذه جميعاً أصبحت من وسائل البلاغ المبين، بل أصبحت وسائل محتومة لقوله تعالى:" وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا "(النساء/63)، إنه يمكن تقديم درس في التوحيد وتمجيد الخالق لا بقراءة نظرية تقليدية بل ببضع دقائق في التلفاز تبرز فيها على الشاشة الصغيرة صورة كونية فخمة تتجلّى فيها مظاهر القدرة العليا وتصحبها كلمات سريعة موجزة تدلّ على أنّ العلم يقود إلى الإيمان[4].

نحن في عصر الصورة، والصورة أداة خطيرة وماكنة هائلة لتحريك الجماعات عبر ما تبثّه وسائل الإعلام، الصورة وسيلة تواصلية فعّالة متعدّدة الوظائف وعنصر من عناصر التمثيل الثقافي، لأنها تفهم بسرعة ويفهمها أكبر قدر ممكن من المتلقّين فهي وسيلة إيضاح مساعدة على الفهم

---

[1] أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها، ط2، القاهرة، دار الكتاب المصري ، 1987، ص13

[2] أحمد غلوش، مرجع سابق، ص230

[3] محمد الغزالي، مع الله– دراسات في الدعوة والدعاة، دط، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ، 1999، ص17

[4] محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، مرجع سابق، ص–ص 148–151

كما أنّها تصل إلى المعني من أقرب مرمى، فتقدّم للمتلقّي خدمة مهمّة جدّاً لأنّها تكثّف من فعل "التبليغ" وبذلك تتسلّط على الحساسية المتأثّرة لديه وتخاطبه بطريقة مختلفة عمّا تخاطبه به اللغة فتعمل على إيقاظ الإنسان الذي يرقد في أعماقه. ولعلّ سيد قطب تنبّه لهذه الأهمية للصورة(مع الخلاف في طبيعتها) والتصوير حين أعلن في كتابه"التصوير الفني في القرآن الكريم" أنّ التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية[1].

إنّ مراعاة مزايا وخصائص ومتطلبات الواقع هو من باب الحكمة في الدعوة، والتجديد في أساليب الدعوة أمرٌ أكّده القرآن الكريم حين جعل أساس الدعوة ومنهجها القويم مبنيّاً على الإقناع لا الإكراه، إنّ الإقناع الحرّ أساس النجاح المرتقب، وهذا يقتضي مهاداً طويلاً من العناصر الثلاثة التي أحصاها القرآن الكريم في دعوته: الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الرفيق، والزمن جزءٌ من العلاج فليس من العقل أن تبذر اليوم لتحصد اليوم. إنّ أجهزة الإعلام عندما تؤدّي دورها هي ميادين جهاد ومساجد صلاة ومدارج تقوى ورضوان، إنّ إعلامنا صورة لما نقول ونؤمن وصدى لما ننشد من خير للحياة والأحياء[2].قال تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "(الأنبياء/107).

3- أهداف الوظيفة الدعوية الإعلامية للاتصال في ضوء القرآن الكريم:

إنّ وظيفة التبليغ التي جسّدتها الوظيفة الدعوية الإعلامية في القرآن الكريم تسعى دؤوبة باجتهاد الإعلاميين والدعاة المخلصين لتحقيق الأهداف والغايات التي رسمها لها القرآن الكريم وسنة رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم، ويمكن أن نجمل بعضاً من هذه الأهداف التي نراها تتوافق مع تحدّيات الواقع الذي نعيش فيه، وهي كالآتي:

- ✓ الدعوة والإعلام عليهما واجب رسم صورة صادقة عن الإسلام وتعاليمه وذلك بتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وحقيقة التديّن في المجتمعات الإسلامية أوّلاً، وكذا بيان هذه الصورة بكلّ حقائقها من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات، وضرورة الدعوة إلى العمل بها مجتمعة، والتأكيد على حقيقة الفطرة الواحدة بين بني البشر بالمزاوجة بين الجانب المادي والروحي وأنّ أيّ إغفال لأيّ جانب لا يؤدّي إلى خير كثير أو هداية نافعة،كلّ ذلك بالاعتماد على الصدق والأدلّة المقنعة.
- ✓ على الدعوة ولإعلام التعريف بمحمد صلّى الله عليه وسلّم للعالم كلّه، وتدريس سيرته بعيداً عن الافتراء والتزايد، ليأخذ من الإحاطة بهذه السيرة أمجد درس فيما تستطيع المواهب البشرية بلوغه من خير وفضل، لأنّه المثل الذي يستحق الإعزاز والاقتداء "فما أتفه الحياة إذا خلت من مثل أعلى".
- ✓ على الدعوة والإعلام إعلاء صوت المعروف ودعم قيم الخير والأخوّة الإنسانية، وحماية شارة الإيمان ضدّ تيارات الإلحاد والمادية المتغطرسة، وربط الإنسان بحقيقة عبوديته لله ودعوته لتوجيه فكره وعقله نحو القدير في ملكوت الحق سبحانه، وبعدها التذكير بمبدأ "المساواة الإنسانية" ووحدة معيار التفاضل بين الناس وهو "التقوى" لقوله تعالى:" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "(الحجرات/13). وهذا كلّه سيكون دافعاً للتبادل الحضاري وإشاعة الثقافة الجادة، ودعم الفكر الصالح وبثّ القيم الصحيحة، وتسهيل عملية التواصل وتقويتها والحدّ من عوامل الفرقة وسلبيات الاختلاف الاجتماعي والثقافي بين الأفراد والجماعات والأمم.
- ✓ الإعلام البنّاء بإمكانه إثراء الخيال اللازم لبناء المجال الحيوي المطلوب وجعل التديّن ثقافة عالمية، وذلك بتكثيف الأنشطة الدعوية والإعلامية المتاحة كالملصقات، الإعلانات، اللوحات، إقامة المهرجانات... إنّ السينما والمسرح والتلفاز والإذاعة والروايات والقصص وغيرها بإمكانها جعل المسائل الدينية أو التديّن حاضراً دائما في حسّ الناس، دون إغفال مساعدة المبدعين في هذا المجال على الإنتاج والإبداع حتى تنعم الحياة بعبقريتهم.
- ✓ على الدعوة والإعلام العمل على العناية باللغة العربية محلّياً وعالمياً، لأنها جزء حقيقي وخطوة مقصودة للتعريف بحقيقة الإسلام حتى وإن اقتضى الأمر بتأليف جماعات وبعثات لتعليم اللغة العربية دون ربطها بالإبلاغ الديني، وبذلك يتم تهيئة اللغة وإتقانها لأيّ إنسان يطلب المزيد من الثقافة وسوف يحيي الإسلام على المدى البعيد ثمار الازدهار اللغوي المجرّد، كما لابدّ من إحياء

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ط17، القاهرة، دار الشروق، 2004 ، ص36

[2] محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، مرجع سبق ذكره، ص151

التراث والأدب العربي الخالص وتقريبه من طبيعة العصر وذلك ما لا بدّ أن تقوم به مجامع اللغة العربية بجهد محترم في نشر ألفاظ اللغة العربية وجعلها لغة للعلوم الحديثة[1].

الخاتمة

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون نهجاً ربّانياً شاملاً لكلّ الناس، والإنسان المسلم يستمدّ من هذا المنهج الرباني معرفته بخالقه وبدينه وبحقائق الوجود وبكلّ ما يحتاجه في شؤون حياته بما يضمن له حياةً سعيدة مطمئنّة. ومن بين أهمّ الجوانب التي تحقّق للإنسان هذه الحياة التي يرغب فيها جانب الاتصال والتفاعل مع غيره من بني جنسه، لذلك وجدنا أنّ القرآن الكريم لم يهمل هذا الجانب الحيوي والمهمّ، فكانت بذلك عنايته بالاتصال وبيان أهميته متجلّية بوضوح في كثير من آيات الذكر الحكيم، بين إشاراتٍ إلى مختلف عناصر العملية الاتصالية أو توضيح لأهم مقوّمات نجاح الاتصال أو ما يجب تجنّبه من معوّقات، وكذلك أهم ما ينبغي امتلاكه من مهارات اتصالية دون أيّ إغفالٍ لأهمّ وظائفه.

إنّ معنى الاتصال والتواصل ورد في كتاب الله عزّ وجلّ على حسب المعنى المستمدّ من لغته العربية والتي كانت معبّرة عن المعنى الحقيقي للاتصال وظيفياً وإنسانياً، كما أنّ القرآن الكريم أشاد بأهمية الاتصال ودوره الفاعل في حياة الإنسان الذي هو محور الوجود. إنّ الاتصال والتواصل في المفهوم القرآني مهمّ للفرد في حياته النفسية والاجتماعية، لأنّه يلبّي رغبته الفطرية في التعايش والتآلف، كما أنّه يحفّزه على تبادل آرائه وأفكاره ويد فعه للسعي إلى مزيد العلم والمعرفة والخبرة في الحياة، كما أنّه يقوم بدور لا يستهان به في حفظ قيمه ومبادئه وفي تعزيز أخلاقه وتقويم سلوكه عن طريق التربية والتزكية دون أن يغفل مساهمته في تحقيق التبادل المعرفي والحضاري والتقليل من أسباب الخلاف والنزاع.

إنّ هذه الأهمية التي أولاها القرآن الكريم للاتصال أمكن لنا أن نستنتجها من حديثه عن أهمّ وظائفه والتي ركّزنا على إبراز واحدة منها والمتمثلة في الوظيفة الدعوية الإعلامية، حيث تبيّنت لنا من خلال التأكيد على وجوب الدعوة والإعلام والتبليغ، وكيف أنّ القرآن الكريم جعل الوظيفة الدعوية الإعلامية وظيفة محوريةً لأنها تقوم بعبء التعريف بالإسلام والتأكيد على عالمية رسالته وأهميتها في ترشيد الواقع الإنساني وإنقاذه من مخالب الإلحاد والمادية المتغطرسة. والذي استنتجنا منه أنّ الحاجة إلى وحي الله وقادة المرسلين لا تنقطع أبداً، ولعلّ عصرنا الذي نعيش فيه هو

[1] محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 156-157

أشدّ العصور البشرية حاجة إلى الله وصوت الوحي وهدايات الأنبياء، وهذا لأنّ الإنسانية وصلت إلى رقيّ عقلي لم يسبق لها أن وصلته ولكنّه للأسف عقليّ محض، ماديّ بعيد عن تطلّعات الروح والنفس وأشواقها التي تستمدّها من هدايات الله ورعايته وتوجيهاته.

لذلك نقول ونؤكّد أنّ الاتصال والتواصل الإنساني في ضوء القرآن الكريم لا يمكن أن يكون أو أن يتحقّق بإقصاء أيّ طرف من الأطراف أو جنس من الأجناس، ونحن المسلمون أكثر من غيرنا يقع علينا عبء تصحيح الوجهة البشرية ومفاهيمها عن حقيقة الله والكون والخلق إذا أردنا أن يتحقق هذا التواصل بما يكفل الخير والصلاح والهدى للجميع دون استثناء، وأن يجنّب مستقبل الإنسانية من الوقوع في الهاوية، وهذه مهمّة الوظيفة الدعوية الإعلامية.

المراجع

1- القرآن الكريم، رواية ورش عن عاصم

2- ابن عاشور، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير من التفسير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، القاهرة، دار ابن الهيثم.

4- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 6، باب الواو، ج54، القاهرة، دار المعارف.

5- الإدارة العامة للمعجمات، مجمع اللغة العربية، وإحياء التراث المعجم الوسيط- مادة وصل- باب الواو، ط4، ، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004.

6- البيانوني، محمد أبو الفتح ، المدخل إلى علم الدعوة، ط3، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1995.

7- دليو، فوضيل ، الاتصال: مفاهيمه- نظرياته- وسائله، ط1، القاهرة، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.

8- الزيدي، طه أحمد ، معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي – عربي إنجليزي- ط1، بغداد، العراق، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010.

9- الشعابي الحارثي، فهد محمد ، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم-دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات، ط1، بيروت، منتدى المعارف، 2014.

10- عبد الحميد، محمد ، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، القاهرة، مصر، عالم الكتب، 2004.

11- الغزالي، محمد ، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، دط، القاهرة، دار الشروق، 1998.

12- الغزالي، محمد ، مع الله- دراسات في الدعوة والدعاة، دط، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

13- غلوش، أحمد ، الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها، ط2، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1987.

14- القرني، عوض ، حتى لا تكون كلاًّ...طريقك إلى التفوق والنجاح، ط8، جدة، دار الأندلس الخضراء، 2001.

15- قطب، سيد ، التصوير الفني في القرآن الكريم، ط17، القاهرة ، دار الشروق، 2004 .

16- لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني- قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، ، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، 2014.

17- مكاوي، حسن عماد ، السيد، ليلى حسين ، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط6، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2006.